

فتنة خلق القرآن

« نشرنا النصف الأول من محاضرة الأستاذ صفوت في العدد الماضي من الصحيفة وعرفنا أن المأمون كتب رسالة لاسحاق في شأن العلماء الذين لا يقولون بخلق القرآن وأنه سألهم بما طلب الخليفة ، وكتب مقالته وأرسلها إليه »

للمؤستاذ أحمد زكي صفوت

وقد ورد كتاب المأمون في أمرهم ونسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك - جواب كتابه كان إليك - فيما ذهب إليه متصنعة أهل القبلة وملتمسو لرياسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة ، من القول في القرآن ، وأمرّك به أمير المؤمنين من امتحانهم ، وتكشيف أحوالهم ، وإحلالهم محالهم ، تذكّر إحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق عند ورود كتاب أمير المؤمنين ، مع من أحضرت ، من كان يُنسب إلى الفقه ، ويعرف بالجلوس للحديث ، وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام ، وقراءتك عليهم جميعا كتاب أمير المؤمنين ، ومسألتك إياهم عن اعتقادهم في القرآن ، والدلالة لهم على حظهم وإطباقهم على نفي التشبيه ، واختلافهم في القرآن ، وأمرّك من لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى في السر والعلانية ، وتقدّمك إلى السّنديّ وعبّاس مولى أمير المؤمنين بمدّ تقدّمته به فيهم إلى القاضيين (١) بمثل ما مثل لك أمير المؤمنين من امتحان من يحضر مجالسهما من الشهود ، وبثّ الكتب إلى القضاة في النواحي من عملك بالقدوم عليك ، لتحملهم

(١) يعني جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق .

وتمتحنهم على ما حده أمير المؤمنين وتثبيتك في آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم ، وفهم أمير المؤمنين ما اقتضت .

وأمير المؤمنين بحمد الله كثيرا كما هو أهله ، ويسأله أن يصلي على عبده ورسوله محمد ﷺ ، ويرغب إلى الله في التوفيق لطاعته وحسن المعونة على صالح نيته برحمته ، وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن ، ومارجع إليك فيه كل أرى منهم وما شرحت من مقالاتهم .

فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد في نفي التشبيه وما أمسك عنه من أن القرآن مخلوق ، وادعى من تركه الكلام في ذلك واستعماه أمير المؤمنين ، فقد كذب بشر في ذلك وكفر ، وقال الزور والمنكر ، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك ولا في غيره عهد ولا نظر أكثر من إخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص ، والقول بأن القرآن مخلوق ، فادع به إليك ، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك ، وأنصصه عن قوله في القرآن ، واستتب منه ، فإن أمير المؤمنين يرى أن تستيب من قال بمقالته ؛ إذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح ، والشرك المحض عند أمير المؤمنين ، فإن تاب منها فأشهر أمره وأمسك عنه ، وإن أصر على شركه ، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده ، فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله .

وكذلك إبراهيم بن المهدي فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشرا ، فإنه كان يقول بقوله ، وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالغ ، فإن قال إن القرآن مخلوق فأشهر أمره واكشفه ، وإلا فاضرب عنقه ، وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله .

وأما علي بن أبي مقاتل فقل له : ألسن القائل لأمير المؤمنين إنك تحلل وتحرم ! والمكلم له بمثل ما كلمته به ، بما لم يذهب عنه ذكره !

وأما الذَّيَّال بن الهيثم ، فأعلمه أنه كان في الطعام الذي كان يسرقه في الأنبار ، وفيما يستولى عليه من أمر مدينة (١) أمير المؤمنين أبي العباس ما يشغله ، وأنه لو كان مقتنيا آثار سلفه ، وسالكا مناهجهم ، ومحتذيا سبيلهم لمنا خرج إلى الشرك بعد إيمانه .

وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العَوَّام وقوله إنه لا يحسن الجواب في القرآن ، فأعلمه أنه صبي في عقله لافي سنه ، جاهل ، وأنه إن كان لا يحسن الجواب في القرآن فسيحسنه إذا أخذه التأديب ، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك إن شاء الله .

وأما أحمد بن حنبل ومات كتب عنه ، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى تلك المقالة وسيلته فيها ، واستدل على جهله وآفته بها .

وأما الفضل بن غانم ، فأعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر ، وما اكتسب من الأموال في أقل من سنه ، وما شجر بينه وبين المطلب بن عبد الله في ذلك ، فإنه من كان شأنه شأنه ، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته ، فليس بمستنكر أن يبيع إيمانه بطمعا فيهما ، وإيثارا لعاجل نفعهما ، وأنه مع ذلك القائل لعلي بن هشام ماقال ، والمخالف له فيما خالفه فيه ، فما الذي حال به عن ذلك ، ونقله إلى غيره ؟

وأما الزياتي (٢) ، فأعلمه أنه كان منتحلا أولا أوّل دعي كان في الإسلام ، خولف فيه حكم رسول الله ﷺ ، وكان جديرا أن يسلك مسلكه ، فأنكر أبو حسان أن يكون مولى لزياد ، أو يكون مولى لأحد من الناس — وذكر أنه إنما نسب إلى زياد لأمر من الأمور .

وأما المعروف بأبي نصر الثمار ، فإن أمير المؤمنين شبهه بخساسة عقله بخساسة متجره .

(١) مئ مدينة الهاشمية ، بناها السفاح بالكوفة .

(٢) هو أبو حسان الزياتي ، والدعي : المتهم في نسيب المنسوب إلى غير أبيه . والمراد زياد ابن أبيه

وأما الفضل بن الفَرُّخَان ، فأعلمه أنه حاول بالقول الذي قاله في القرآن أخذَ الودائع التي أودعها إياه عبد الرحمن بن إسحق وغيره ؛ تربصاً بمن استودعه ، وطمعاً في الاستكثار لما صار في يده ، ولا سبيل عليه عن تقادم عهده ، وتطاول الأيام به ، فقل لعبد الرحمن بن إسحق : لا جزاك الله خيراً عن تقويتك مثل هذا وإيمانك إياه ، وهو معتقد للشرك ، منسلخ من التوحيد !
وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبي مَعْمَر ، فأعلمهم أنهم مشاغلٌ بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد ، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحلّ محاربتهم في الله ومجاهدتهم إلا لإربابهم وما نزل به كتابُ الله في أمثالهم لاستحلّ ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركاً ، وصاروا للنصارى مثلاً ؟

وأما أحمد بن شجاع ، فأعلمه أنك صاحبه بالائمس ، والمستخرج منه ما استخرجته من المال الذي كان استحله من مال علي بن هشام ، وأنه ممن الدينار والدرهم دينه .

وأما سعدوية الواسطى ، فقل له : قبّح الله رجلاً بلغ به التصنع للحديث والتزين له والحرص على طلب الرياسة فيه ، أن يتمنى وقت المحنة ، فيقول بالتقرب بها : متى يمتحن فيجلس للحديث .

وأما المعروف بسجادة وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه القول بأن القرآن مخلوق ، فأعلمه أنه في شغله بإعداد النوى وحكمه لإصلاح سجادته ، وبالودائع التي دفعها إليه علي بن يحيى وغيره — ما أذهله عن التوحيد وأهله ، ثم سله عما كان يوسف بن أبي يوسف ومحمد ابن الحسن يقولانه إن كان شاهدهما وجالسهما .

وأما القواريري ، ففيمّا تكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته ، وسخافة عقله ودينه ، وقد انتهى إلى أمير

المؤمنين أنه يتولى لجعفر بن عيسى الحسن مسائله ، فتقدم إلى جعفر بن عيسى في رفضه وترك الثقة به والاستئمانه اليه .

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمري ، فإن كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف .

وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم فإنه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه ، لم ينتحل النحلة التي حكيت عنه ، وإنه بعد صبي يحتاج إلى تعلم . وقد كان أمير المؤمنين وجه إليك المعروف بأبي مسهر بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن ، فجمجم (١) عنها ولجلج فيها ، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف ، فأقر ذمها ، فانصصه عن إقراره ، فإن كان مقبها عليه فأشهر ذلك وأظهره إن شاء الله .

ومن لم يرجع عن شركه — ممن سميت لأمير المؤمنين في كتابك ، وذكره أمير المؤمنين لك ، أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا — ولم يقل إن القرآن مخلوق بعد بشر بن الوليد ، وإبراهيم بن المهدي ، فاحملهم أجميعين موثوقين إلى عسكر أمير المؤمنين ، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم في طريقهم ، حتى يؤديهم إلى عسكر أمير المؤمنين ، وتسليمهم إلى من يؤمن بتسليمهم إليه ؛ لينصهم أمير المؤمنين ، فإن لم يرجعوا ويتوبوا ، حملهم جميعا على السيف إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله !

وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بئدارية (٢) ، ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية ، معجلا به ، تقربا إلى الله عز وجل بما أصدر من الحكم ، ورجاء ما اعتمد ، وإدراك ما أمل من جزيل ثواب الله عليه .

(١) الجمجمة : أن لا يبين كلامه كالتجمجم (٢) : الخريطة وعاء من آدم وغيره يشد على ما فيه ، وبئدارية : نسبة إلى البندار وهو التاجر الذي يخزن البضائع للغلاء — فهو كثير المال — والظاهر أن الخريطة البئدارية كانت تمتاز عن سائر الخرائط بمتانة صنعها وإحكامها واتساعها لمقدار من النفود كبير ، وأنظره : آخره .

فَأَيُّقَدْ لَمَّا أَتَاكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَجَّلَ إِجَابَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَكُونُ مِنْكَ فِي تَخْرِيطَةِ بَشْدَارِيَةِ مَفْرَدَةٍ عَنْ سَائِرِ الْخَرَائِطِ ، لِتَعَرِّفَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَعْمَلُونَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (١) .

وكتب سنة ٢١٨ هـ

فَأَجَابَ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ حِينَ أَعَادَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ إِلَّا أَرْبَعَةً نَفَرًا ، وَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَسُجَّادَةُ وَالْقَوَارِيرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ ، فَأَمَرَ بِهِمْ إِسْحَاقُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ فَشَدُّوا فِي الْحَدِيدِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَاهُمْ جَمِيعًا يَسَاقُونَ فِي الْحَدِيدِ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمُ الْحَنَّةَ ، فَأَجَابَهُ سُجَّادَةُ إِلَى أَنْ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ قَيْدِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، وَأَصْرَ الْآخَرُونَ عَلَى قَوْلِهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْغَدِ عَاوَدَهُمْ أَيْضًا فَأَعَادَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ ، فَأَجَابَ الْقَوَارِيرِيُّ إِلَى أَنْ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ قَيْدِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، وَأَصْرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ عَلَى قَوْلِهِمَا وَلَمْ يَرْجِعَا فَشَدَّا جَمِيعًا فِي الْحَدِيدِ ، وَوَجَّهَا إِلَى طَرَسُوسَ (٢) ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ خَرَجَ إِلَيْهَا غَازِيًا فَأَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ بِهَا ، وَمَاتَ ابْنُ نُوحٍ فِي طَرِيقِهِ إِلَيْهَا .

وَاتَّفَقَ أَنْ مَاتَ الْمَأْمُونُ قَبْلَ وَصُولِ ابْنِ حَنْبَلٍ إِلَيْهَا (سنة ٢١٨) وَعَهْدَ إِلَى أَخِيهِ الْمُعْتَصِمِ بِالْخُلَاقَةِ ، وَأَوْصَاهُ أَنْ يَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْقَوْلِ بِمَخْلُوقِ الْقُرْآنِ ، وَاسْتَمَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مَحْبُوسًا إِلَى أَنْ امْتَحَنَهُ الْمُعْتَصِمُ ، فَأَحْضَرَهُ وَعَقَدَ لَهُ مَجْلِسًا لِلنَّظَرَةِ ، وَفِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ وَالْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ وَغَيْرُهُمَا ، فَنَظَرُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُمْ فِي جِدَالٍ إِلَى الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، فَأَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بِضَرْبِهِ بِالسَّيَاطِ ، وَلَمْ يُحْلَعْ عَنْ رَأْيِهِ إِلَى أَنْ أَغْمَى عَلَيْهِ ، وَنَخَسَهُ عَجَيفُ (٣) بْنُ عَنَبَسَةَ بِالسَّيْفِ ، وَرَمَى عَلَيْهِ بَارِيَّةَ (٤) وَدِيسَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ حَمَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ ثَمَانِيَةَ وَثَلَاثِينَ سَوْطًا ، وَكَانَتْ مَدَّةُ مَكْنَتِهِ فِي السَّجْنِ ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ شَهْرًا .

(١) تاريخ الطبري ١٠ : ٢٨٩ (٢) مدينة بيلاد الأناضول بينها وبين أذنة (أطنة) ستة

فراخ (٣) هو أحد قواد المعتصم (٤) البارية : الحصار المنزوح

ذكروا أنه لما نواظر في الأيام الثلاثة كان المعتصم يخلو به ويقول له :
ويحك يا أحمد ! أنا والله عليك شفيق ، وإنى لأشفق عليك مثل شفتى على
ابن هرون « يعنى الوائق » فأجبنى ، فوالله لئن أجبتنى لأطلقن غلك يدي ،
ولأطأن عتبتك ، ولأركبن إليك بجندى ، فيقول : يا أمير المؤمنين ،
أعطونى شيئاً من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ ، فإذا طال به
المجلس ضجروا قام وردّ أحمد إلى الموضع الذى كان فيه ، وتتردد إليه رسل
المعتصم يقولون : يا أحمد ، أمير المؤمنين يقول لك : ماتقولون فى القرآن ؟ فيرد
عليهم كإردّ أولاً ، فلما كان فى اليوم الثالث طلب للمناظرة فأدخل على المعتصم
وعنده وزيره محمد بن الملك الزيات والقاضى أحمد بن أبى داود ، فقال المعتصم
كلوه وناظروه ، فلم يزالوا معه فى جدال إلى أن قالوا : يا أمير المؤمنين اقله
ودمه فى أعناقنا ، فرفع المعتصم يده ونظم بها وجه الإمام أحمد ، فخر مغشياً
عليه ، فتمعرت وجوه قواد خراسان — وكان عم أحمد فيهم — بخاف
الخليفة منهم على نفسه ، فدعا بماء ورش على وجهه ، فلما أفاق من غشيته رفع
رأسه إلى عمه وقال : يا عم لعل هذا الماء الذى رش على وجهى غصب عليه
صاحبه . فقال المعتصم : ويحكم ! أما ترون ما يتهجم به على هذا ؟ وقرابتي من
رسول الله ﷺ لا رفعت السوط عنه حتى يقول القرآن مخلوق . ثم التفت
إلى أحمد وأعاد عليه القول ، فردّ أحمد كالأول ، فلم يزل كذلك حتى ضجر
وطال المجلس ، فعند ذلك قال : عليك لعنة الله ! لقد كنت طمعت فيك قبل
هذا ، خذوه ، اخلعوه ، اسحبوه ، فأخذ وسحب ثم خلع ، ثم قال المعتصم :
السياط ، قال الإمام أحمد : وكان عندى شعرات من شعر النبي ﷺ قد
صررتها فى كم قميصى ، فجاء بعض القوم إلى قميصى ليحرقه ، فقال المعتصم :
لا تحرقوه وانزعوه عنه — وإنما درى عن القميص الحرق ببركة شعر النبي
ﷺ — وشدوا يديه فتخلعتا — ولم يزل أحمد يتوجع منهما حتى مات — ثم قال

المعتصم للجلادين : تقدموا ، ونظر إلى السياط فقال : إيتوا بغيرها ، ثم قال لأحدهم : أذمه^(١) وأوجع ، قطع الله يدك ! فتقدم وضرب سوطين ثم تنحى ثم قال لآخر : أذمه وشده ، قطع الله يدك ! فتقدم وضربه سوطين ثم تنحى ، ولم يزل يدعو رجلا رجلا فيضربه كل واحد سوطين ويتنحى ، ثم قام المعتصم وجاءه وهم محدقون به ، وقال : يا أحمد ، تقتل نفسك ! أجبني حتى أطلق غلك بيدي ، وجعل بعضهم يقول له : يا أحمد ، إمامك على رأسك قائم فاجبه ، وعجيف ينخسه بالسيف ويقول : أتريد أن تغاب هؤلاء كلهم ؟ وبعضهم يقول : يا أمير المؤمنين ، اجعل دمه في عنقي ، فرجع المعتصم إلى الكرسي ثم قال للجلاد : أذمه قطع الله يدك ! ثم جاء المعتصم إليه ثانيا وقال : يا أحمد ، أجبني ، فقال كالأول ، فرجع المعتصم وجلس على الكرسي ، ثم قال للجلاد : شده عليه ، قطع الله يدك ، قال أحمد : فذهب عقلي فماعتلت إلا وأنا في حجرة مطلق عني ، كل ذلك وهو صائم لم يفطر ، وكان ذلك سنة ٢١٩ هـ على ما ذكره المسعودي . وروى ابن خلصان أنه ضرب في العشر الأخيرة من رمضان سنة ٢٢٠ هـ ، ثم وجه المعتصم رجلا ينظر الضرب والجراحات ويعالجه فنظر إليه وقال : والله لقد رأيت من ضرب ألف سوط فما رأيت أشد ضربا من هذا ، ثم عالجه ، وبقي أثر الضرب بينا في ظهره إلى أن مات سنة ٢٤١ هـ^(٢) . ولم يزل ابن حنبل بعد ضربه يحضر الجمعة والجماعات ويقتى ويحدث إلى أن مات المعتصم (سنة ٢٢٧ هـ) ، وولى الوائق فأظهر ما أظهره المأمون والمعتصم من المحنة ، وقال للإمام أحمد : لا تجمعن إليك أحدا ، ولا تسكني في بلد أنا فيه ، فأقام الإمام أحمد محتفيا لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات

(١) أى أسل دمه ، من ذم أنفه وذن : إذا سال .

(٢) تاريخ الطبري ١٠ : ٣٩٢ وتبيين كذب المفتري ص ٣٤٩ وحياة الحيوان الكبرى للسيدي

ج ١ : ص ١١٥ — ١١٧ ووفيات الأعيان ج ١ : ص ١٧ ومروج الذهب ج ٢ : ص ٣٤٨ .

الوائق (سنة ٢٣٢ هـ) وولى المتوكل ، فكتب إلى الآفاق برفع المحنة ، ومنع الناس من المناظرات فى الآراء والمذاهب ، وقرب منه أهل السنة ، وأمر بإحضار الإمام أحمد وإكرامه وإعزازة وأطلق له مالا كثيرا فلم يقبله ، وفرقه على الفقراء والمساكين ، وأجرى على أهله وولده فى كل شهر أربعة آلاف درهم ، فلم يرض بذلك ، ولم يحفل المتوكل بالمعتزلة فحمدت نارهم ، وتضاءل أمرهم (١) .

ومن عضته هذه المحنة بانياتها فى عهد الواثق أبو يعقوب يوسف بن يحيى البُوَيْطَى (٢) المصرى صاحب الإمام الشافعى ، دعى إلى القول بخلق القرآن فامتنع منه ، فحمل — فىمن حمل — من مصر إلى العراق مقيدا حتى مات فى قياده محبوسا صابرا على ما أصابه من الأذى وكان مقيدا إلى أنصاف ساقيه ، مغلوله يده إلى عنقه . قال الربيع بن سليمان : رأيت البويطى على بغل وفى عنقه غل ، وفى رجله قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلا وهو يقول : إنما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق « بكن » فإذا كانت « كن » مخلوقة فكأن مخلوقا خلق مخلوقا ! فوالله لأموتن فى حديدى حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون أنه مات فى هذا الشأن قوم فى حديدهم ، ولئن أدخلت عليه — يعنى الواثق — لأصدقته ، وقال الربيع أيضا : كتب إلى أبو يعقوب من السجن : إنه ليأتى على أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدنى حتى تمسه يدى ، وتوفى سنة ٢٣١ هـ فى القيد والسجن ببغداد (٣) .

ومنهم نَعْنَم بن حمّاد ، وقد مات فى سجن الواثق مقيدا أيضا (٤) .
ومنهم أحمد بن نصر الخزاعى . قتله الواثق وصلبه سنة ٢٣١ هـ ، ذكروا أن

(١) حياة الحيوان للدميرى ج ١ . ص ١١٥ — ١٢٢ ومروج الذهب ج ٢ ص ٣٦٩

(٢) نسبة إلى بويط وهى قرية بصعيد مصر .

(٣) تمييز كذب المفترى ص ٣٤٨ ووفيان الأعيان ج ٢ : ص ٣٤٧ .

(٤) تاريخ بغداد للعطيط البغدادى ج ٥ : ص ١٧٧ .

ثمامة بن أشرس سعى به إلى الواثق، وذكر له أنه ينكفر من يقول بخلق القرآن، ومن ينكر رؤية الله تعالى يوم القيامة، فأحضره الواثق وقال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، قال: أفمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، قال: أفترى ربك يوم القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية، فقال: ويحك؟ يرى كما يرى المحدود والمتجسم؟ يحويه مكان، ويحصره الناظر؟ أنا أكفر برب هذه صفته، ما تقولون فيه؟ فقال عبد الرحمن بن إسحق - وكان قاضيا على الجانب الغربي ببغداد فعزل - هو حلال الدم، وقال جماعة من الفقهاء كما قال، فأظهر ابن أبي دواء أنه كاره لقتله، فقال للواثق: يا أمير المؤمنين، شيخ مختل، لعل به عاهة أو تغير عقل، يؤخر أمره: فقال الواثق: ما أراه إلا مؤدبا لكفره، ودعا الواثق بالصمصامة، وقال: إذا قتت إليه فلا يقوم أحد معي، فإني أحتسب خطأي إلى هذا الكافر الذي يعبد زبا لا نعبد، ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطح فأجلس عليه وهو مقيد، وأمر بشد رأسه بحبل وأمرهم أن يمدوه، ومشى إليه حتى ضرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد، فصب في الجانب الشرقي أياما، وفي الجانب الغربي أياما، وتتبع رؤساء أصحابه فوضعوا في الحبوس، ولم يزل رأسه منصوبا ببغداد، وجسده بُسّر من رأى ست سنين، إلى أن حُطّ وجمع بين رأسه وبدنه (١).

وذكر البغدادي في الفرق بين الفرق، أن ثمامة خرج إلى مكة، فرآه الخزاعيون بين الصفا والمروة، فزاد رجل منهم: يا آل خزاعة، هذا الذي سعى بصاحبكم أحمد بن نصر وسعى في دمه، فاجتمع عليه بنو خزاعة بسيوفهم حتى قتلوه، ثم أخرجوا جيفته من الحرم فأكلته السباع خارجا من الحرم.

وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه أن محمد بن الواثق - وهو الملقب

(١) الفرق بين الفرق ص ١٥٩، وتاريخ بغداد ج ٥: ص ١٧٣ - ١٨٠ وحياة الحيوان الكبرى

لدميري ج ١: ص ١١٩ ومروج الذهب ٢: ٣٦٣.

بالمهتدي بالله قال : كان أبي إذا أراد أن يقتل رجلاً أحضر ناذلك المجلس ، فبينما نحن ذات يوم عنده إذ أتى بشيخ مصفود مقيّد ، فقال أبي : إيدنوا لأبي عبد الله يعني ابن أبي دواد وأصحابه ، وأدخل الشيخ في مصلاه ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له : لا سلم الله عليك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، بئس ما أدبك به مؤدبك ! قال الله تعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها ، فقال ابن أبي دواد : يا أمير المؤمنين ، الرجل متكلم ، فقال : كلمه ، فقال : يا شيخ ، ما تقول في القرآن ؟ قال : أنصفني (١) في السؤال ، فقال له : سل . فقال الشيخ : ما تقول أنت في القرآن ؟ قال : مخلوق ، فقال الشيخ : هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم والخلفاء الراشدون أم شيء لم يعلموه ؟ فقال : شيء لم يعلموه ، فقال : سبحان الله ! شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون ، تعلمه أنت ! فحجل وقال : أقتني ، فقال قد فعلت ، والمسألة بحالها ، قال : نعم ، قال : فما تقول في القرآن ؟ قال : مخلوق ، قال : هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه ؟ قال : علموه ولم يدعوا الناس إليه ، فقال : أفلا وسعك ما وسعهم ؟ قال : ثم قام أبي فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول : هذا شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون ، تعلمه أنت ؟ سبحان الله ! شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون ولم يدعوا الناس إليه ، أفلا وسعك ما وسعهم ؟ ثم دعا عماراً الحاجب فأمره أن يرفع القيود عنه ويعطيه أربعمئة دينار ويأذن له في الرجوع ، وسقط من عينه ابن أبي دواد ولم يمتحن بعد ذلك أحداً (٢)

(١) نصف الشيء. وأنصفه : أخذ نصفه . (٢) حياة الحيوان الكبرى للدميري ج ١ : ص ١١٩

وأورد الدميري هذه الحكاية أيضا بطريقة أخرى قال :

قال المهتدي بالله : ما زلت أقول القرآن مخلوق صدرا من خلافة الواثق حتى أقدم علينا أحمد بن أبي دواد شيخا من أهل الشام من أهل أذنة ، فأدخل الشيخ على الواثق مقيدا وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة ، فرأيت الواثق قد استحي منه ورق له ، فما زال يدنيه ويقر به حتى قرب منه ، فسلم الشيخ بأحسن السلام ، ودعا بأبلغ الدعاء وأوجز ، فقال له الواثق : اجلس ، ثم قال له : يا شيخ ، ناظر ابن أبي دواد على ما بناظرك عليه ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، إن ابن أبي دواد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة ، فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضبا ، فقال أبو عبد الله بن أبي دواد يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك أنت ! فقال الشيخ : هون عليك يا أمير المؤمنين مابك ، وأذن لي في مناظرته ، فقال الواثق : مادعوتك إلا للمناظرة ، فقال الشيخ : يا أحمد ، إلام دعوت الناس ودعوتني إليه ؟ فقال : إلى أن تقول القرآن مخلوق ؛ لأن كل شيء من دون الله مخلوق ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، إني رأيت أن تحفظ على وعليه ما نقول ، قال : افعل ، فقال الشيخ : يا أحمد ، أخبرني في مقالتك هذه ، أواجبة داخلية في عقد الدين ، فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله عز وجل ، هل ستر شيئا مما أمره الله في دينه ؟ قال : لا . قال الشيخ : فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى مقالتك هذه ؟ فسكت ابن أبي دواد ، فقال له الشيخ : تكلم ، فسكت ، فالتفت الشيخ إلى الواثق ، وقال : يا أمير المؤمنين ، واحدة ، فقال الواثق : واحدة ، فقال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن آخر ما أنزل الله من القرآن على رسول الله ﷺ ، فقال : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» فقال الشيخ : أكان الله تبارك وتعالى

الصادق في إكمال دينه . أم أنت الصادق في نقصانه ، فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه بمقالتك هذه ؟ فسكت ابن أبي دواد ، فقال الشيخ : أجب يا أحمد فلم يجب ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، اثنتان ، فقال الواصل : اثنتان ، فقال الشيخ : يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه ، أعلمها رسول الله أم جهلها ، فقال ابن أبي دواد : علمها ، فقال الشيخ : أدعا الناس إليها ؟ فسكت ابن أبي دواد : فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ثلاث ، فقال الواصل : ثلاث ، فقال الشيخ : يا أحمد ، فاتسع لرسول الله كما زعمت فلم يطالب أمته بها ، قال : نعم ، فقال الشيخ : واتسع لآبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم ، قال : نعم ، فأعرض عنه الشيخ وأقبل على الواصل وقال : يا أمير المؤمنين ، قد قدمت القول أن أحمد بقل ويضعف ويصغر عن المناظرة ، يا أمير المؤمنين إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ولا لآبي بكر وعمر وعثمان وعلى فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك ، فقال الواصل : نعم اقطعوا قيد الشيخ ، فلما قطعوه ضرب الشيخ بيده إلى القيد لياخذه فجذبه الحداد إليه ، فقال الواصل : دع الشيخ لياخذه ، فآخذه ووضع في كفه ، فستل في ذلك ، فقال : لا تني نويت أن أتقدم إلى من أوصى إليه إذا أنامت أن يجعله بيني وبين كفى ، حتى اخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة ، وأقول : يارب ، سل عبدك هذا لم قيدني وروع اهلي وولدي وأخواني بلا حق أوجب ذلك على وبكى الشيخ وبكى الواصل وبكى ، ثم سأله الواصل أن يجعله في حل وسعة مما ناله منه ، فقال الشيخ : والله يا أمير المؤمنين قد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراماً لرسول الله ﷺ إذ كنت رجلاً من أهله . فقال له الواصل : أتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك ؟ قال : لا تحلى لي ، أنا عنها غني وذو ثروة ، وسلم عليه الشيخ وخرج ، قال المهتدي بالله : فرجعت عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم (١)

أحمد زكي صفوت